

مدينة تنس في العصر الوسيط – الموقع والتطور التاريخي

Medieval Ténès City – Location and Historical development

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية - جامعة وهران 1 / الجزائر	التاريخ الوسيط	طاهر منصور خديجة – أستاذة محاضرة ب taharmansour.khadidja@univ-oran1.dz
DOI :		

الإرسال: 2022/10/23 القبول: 2023/05/06 النشر: 2023/06/30

ملخص:

مدينة تنس من بين أقدم مدن المغرب الأوسط التي كانت مستقراً للإنسان المحلي منذ ما قبل التاريخ، لذلك وقع عليها الاختيار كعنوان لهذه الورقة البحثية التي تناولت فيها أهمية موقع هذه المدينة، وأصل ومعنى تسميتها، والحضارات التي تعاقبت عليها في التاريخ القديم، وهي: الفينيقية والقرطاجية والبربرية والرومانية والوندالية والبيزنطية.

ثم تعرضت إلى ذكر فتحها وتأسيسها كمدينة حديثة من طرف البحارة الأندلسيين، ثم تاريخها في الفترة الوسيطة وعلاقاتها مع الكيانات السياسية والدول التي تداولت وتصارعت على حكمها، حيث خضعت تنس لحكم العلويين وقامت بها إمارة سليمانية علوية، ثم الحكم العبيدي (الدولة الفاطمية)، فالحمادي والمرابطي، ليتبعه الحكم الموحيدي، وأخيراً الزياني.

كلمات مفتاحية: تنس؛ العصر الوسيط؛ المغرب الأوسط؛ الجزائر؛ التطور التاريخي.

Abstract: Ténès is one of the oldest cities in Middle Maghreb, it was a stable for homemade people for a long time.

So I choose this topic as the title of paper that I like to start it by mentioning the importance of the location, meaning of its name, and the civilizations that followed it in ancient history: Phoenician, Carthaginian, Berber, Roman, Vandalisme and Byzantine.

Then it was on its opened and established a modern city by Andalusians sailors, then its history in the intermediate period and its relations with the political entities and countries that alternated and wrestled over its rule.

where Ténès was subjected to the rule of the Alawites - the Alawite Emirate of Sulaymaniyah, then the Ubaidi Shiite rule (the Fatimid state), then the Almoravid and the Almohads rule, and finally Al-Zayani.

Keywords: Ténès; Middle Maghreb; medieval history; Algeria; Historical development.

مقدمة:

تنس من بين المدن الصغيرة التي كان لها دور كبير في مجرى الأحداث والتطورات السياسية التي شهدتها منطقة الغرب الإسلامي عامة، فقد كانت هذه المدينة محط أنظار كل القوى المحلية المغربية والأجنبية، وشهدت أراضيها كل أنواع الحروب والصراعات طيلة مراحلها التاريخية.

توفرت في تنس كل شروط نشأة وتأسيس المدن، ولأهمية موقعها الجغرافي جلبت إليها نظر العنصر الأندلسي الذي توافد عليها وأنشأ مدينة العصر الوسيط – تنس الحديثة وهي موضوع هذا البحث، حيث يتناول هذا المقال التطور التاريخي لمدينة تنس في الفترة الوسيطة، ويهدف إلى إبراز أهمية هذه المدينة، ودورها السياسي والعسكري بداية من القرن الثالث الهجري/9م.

رغم أننا نتحدث عن مجرد مدينة صغيرة لم تسبق أن تكون عاصمة لدولة ما إلا أنّها ذات مكانة سياسية مرموقة وتاريخ طويل حافل بالأحداث، لذلك سنحاول من خلال هذه الدراسة المختصرة الإجابة عن الإشكالية التالية: من أين اكتسبت مدينة تنس تلك المكانة التي جعلتها هدفا منشودا لكل دولة قائمة أو حركة خارجية تطمح لبسط سيطرتها على المغرب الأوسط في العصر الوسيط، وكيف استطاعت هذه المدينة الحفاظ على استمرارية وجودها طيلة التاريخ الوسيط وحتى الفترة الحديثة والمعاصرة؟

موقع مدينة تنس الحديثة (الإسلامية):

تنس مدينة صغيرة بالمغرب الأوسط، تقع في منتصف الطريق بين وهران وجزائر بني مزغنة؛ حيث تبعد عن وهران ثماني مراحل، وعن جزائر بني مزغنة أربع مراحل، وعن تيمرت خمس مراحل، وبينها وبين تلمسان سبع مراحل، وتبعد عن مليانة التي تقع في جنوبها مسيرة ثلاثة أيام.

وهي تطل على البحر الرومي (الأبيض المتوسط)، وتبعد عن جزيرة سَرَدانية من جزر الروم مسيرة عشرة أيام؛ وهي معبر الأندلسيين إلى المغرب، ومنفذ المغاربة إلى تدمر

من بلاد الأندلس في يوم وليلة عبر البحر. (البكري، 1992، صفحة 728، ج2؛ الحموي، د.ت، صفحة 48، ج2؛ الإدريسي، 2002، صفحة 222، 250، ج1؛ ابن بطوطة و ابن بطوطة، 2011، الصفحات 381-382؛ الإصطخري، 1927، صفحة 38)

ومن المعايير التمدنيّة التي توفرت بتنس، نجد:

- التحصين الطبيعي وتموضعها من حيث اختطاطها كمدينة: تنس في الأصل مدينة مُحصّنة طبيعياً، قادرة على دفع أي خطر مُحقق بها، كونها تقع على شبه هضبة بسفح جبل الظهرة، المُطل على المدينة، وتُشرف على البحر من الجهة الشمالية على بعد ميلين منه، بينما تحيط بها الجبال من ثلاث جهات: جبل سيدي مروان أو رأس تنس شرقاً، جبل سيدي عبد الرحمان غرباً، جبل قيصر جنوباً. (البكري، 1992، صفحة 726، ج2؛ ابن حوقل، 1996، صفحة 78؛ بوزينة، 2019، الصفحات 384-385؛ بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-10/9-13م) (أطروحة دكتوراه)، 2007، صفحة 14)

أما تنس القديمة فهي حصن على البحر، كان في القديم معمور قبل الحديثة (البكري، 1992، صفحة 726، ج2؛ الحموي، د.ت، صفحة 48، ج2)، وهو بعيد عن الموقع الجديد بحوالي كليومتر واحد فقط. (بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-10/9-13م) (أطروحة دكتوراه)، 2007، صفحة 1)

- التحصين العمراني للمدينة: تحيط بالمدينة الأسوار والأبراج والأبواب من كل الجهات، يُؤكد ذلك ابن حوقل في قوله: "تنس مدينة عليها سور، ولها أبواب عدّة، وبعضها على جبل قد أحاط به السور، وبعضها في سهل" (ابن حوقل، 1996، صفحة 78)، وكذلك البكري "وهي مسورة حصينة...ولها بابان إلى القبلية، وباب البحر، وباب ابن ناصح، وباب الخوخة شرقي..." (البكري، 1992، صفحة 726، ج2؛ الحميري، 1984، صفحة 38)، ويذكر الإدريسي، بأن "عليها سور حصين، وحظيرة مانعة دائرية بها" (الإدريسي، 2002، صفحة 251)؛ أما الحميري فيذكر أنّ "داخلها قلعة صعبة المرتقى ينفردُ بسُكّناها عامل تنس لمنعتها". (الحميري، 1984، صفحة 138)

- وفرة المياه: كان يوجد فيها وادٍ، وقيل: نهر (البكري، 1992، صفحة 726، ج2؛ مجهول، الإستبصار، د.ت، صفحة 133)، يعرف حالياً باسم "وادي علالة"، يحيط بالمدينة من ثلاث جهات، يحميها ويمد سكانها بالماء (بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-13/9-10م) (أطروحة دكتوراه)، 2007، صفحة 14).

وأشار إليه ابن حوقل في قوله: "على وادٍ كثير الماء، وشربهم منه" (ابن حوقل، 1996، صفحة 78)، وذكره البكري باسم "تناتين" (البكري، 1992، صفحة 726، ج2)، والحميري باسم "تناتين"، وقال عنه: "يأتيها من جبل على مسيرة يوم، فيأتيها من القبلة [الجنوب]، ويستدير بها من جهة الشرق والجوف [الشمال]، ويصب في البحر" (الحميري، 1984، صفحة 138)؛ كما سَمَّاهُ صاحب الإستبصار بـ "نهر تامن" (مجهول، الإستبصار، د.ت، صفحة 133)، ووصفه الإدريسي بقوله: "لها في جهة الشرق وادٍ كثير الماء، وشربهم منه في أيام الشتاء والربيع". (الإدريسي، 2002، الصفحات 251-252)

وفي المدينة أيضاً "عين صالحة للشرب"، أشار إليها الإدريسي أيضاً بقوله: "شرب أهلها من عين" (الإدريسي، 2002، صفحة 251)، ولعل اسمها "عين عبد السلام"، التي أتى على ذكرها الحميري بقوله: "عين تعرف بعين عبد السلام، ثرة عذبة". (الحميري، 1984، صفحة 138)

- اجتماع البشر (العمران): من شروط اختطاط المدن وعمرانها حسب رأي ابن خلدون أن تكون المدينة "في جَبَلٍ أو تَكُونُ بَيْنَ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ مَوْفُورَةً الْعَدَدِ تَكُونُ صَرِيحاً للمدينة متى طَرَقَهَا طَارِقٌ مِنَ الْعَدُوِّ..." (ابن خلدون، 2000، صفحة 435، ج1).

توفر في تنس هذا الشرط أيضاً، حيث كانت المدينة موطناً لقبائل زناتة المتكونة من عدة فروع؛ ولم نجد إشارة واضحة لاسم بطون القبائل وفروعها التي استقرت بالمدينة في المصادر التي تحدثت عنها، يقول ابن حوقل: "ولها بادية من البربر كثيرة، وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة"؛ (ابن حوقل، 1996، صفحة 78)، ويؤكد البكري على دخول هذه القبائل البربرية تنس الحديثة بعد تأسيسها في القرن الثالث الهجري/9م بقوله: "فتجمع إليهم بربر هذا القطر ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس، وسألوهم أن يتخذوها سوقاً ويجعلوها سكناً، ووعدهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة، فأجابوهم إلى ذلك

وانتقلوا إلى القلعة وخبّموها... (البكري، 1992، صفحة 726، ج2: الحميري، 1984،
صفحة 48)

- موقعها وسط الطرق البرية والبحرية: مثلت مدينة تنس في العصر الوسيط همزة وصل بين مدن المغرب الأوسط خاصة، والمدن المغربية عامة بفضل موقعها، حيث كانت من أهم محطات العبور على الطريق الساحلي، فهي تقع على الطريق الرابط بين مدينتي بجاية وسبته، أشار إلى ذلك عبد الواحد المراكشي: "ومن مدينة بجاية إلى مدينة صغيرة تُدعى الجزائر... قريب من أربع مراحل، ومن الجزائر هذه إلى مدينة صغيرة تُسَمَّى تَنَسْ، أربع مراحل؛ ومن مدينة تَنَسْ إلى وَهْرَان سبع مراحل، ومن مدينة وهران إلى مدينة سَبْتَةُ على التقريب ثماني عشر مرحلة" (المراكشي، 1994، الصفحات 437-438).

كانت مدينة تنس تُشرف على عدة طرق برية داخلية ترتبط بمختلف المدن المغربية، إذ كانت نقطة عبور من وإلى كل من: شلف ووهران وتلمسان وبجاية وتيهرت والمسيلة وأشير وسبته والقيروان، وغيرها من المدن الأخرى.

على سبيل المثال نذكر الطريق الداخلي الرابط بين تنس وتيهرت، استنادا لما ورد في كتاب المسالك والممالك: "فأما الطريق من تنس إلى تيهرت فألى باجنة، إلى مدينة الغزا إلى تيهرت خمس مراحل". (البكري، 1992، صفحة 728، ج2)

بالإضافة إلى ذلك كان ميناء تنس نقطة عبور في الطريق البحري، وقد كان هذا الميناء من أهم المراسي التجارية المغرب أوسطية المشهورة، واعتبر أحد أبرز نقاط العبور الرابطة بين العدوتين المغربية والأندلسية وبين طرفي العالم الإسلامي المشرقي والمغرب، لكون هذا المرسى محمي طبيعيا، يقول البكري: "ويليه مرسى مدينة تنس وهو صيفي، يكن بشرقيه وغربه وله ماء معين" (البكري، 1992، صفحة 756، ج2)،

ومن بين الطرق البحرية الداخلية، نذكر: الطريق الداخلي من تنس إلى وهران: يقول الإدريسي: "إنَّ من مدينة وهران إلى مدينة تنس مجريان، وهي من الأميال مائتا ميل" (الإدريسي، 2002، صفحة 257)

وكذا الطريق البحري الذي يربط بين العدوتين المغربية والأندلسية، حيث كانت تنس من أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكهم، ويقصدونها بمتاجرهم، وينهضون منها إلى ما سواها (ابن حوقل، 1996، صفحة 78).

ويتميز هذا الطريق بقصر المسافة الزمنية خاصة في فصل الصيف (بوعمامة، صفحة 79)، يقول اليعقوبي: "ومن أراد جزيرة الأندلس نفذ من القيروان إلى تونس... وهي على ساحل البحر المالح فراكب البحر المالح يسير فيه مسيرة عشرة أيام مُسحلاً غير مُوغل، حتى يُحاذي جزيرة الأندلس من موضع يقال له تنس، بينه وبين تاهرت مسيرة أربعة أيام، أو صار إلى تاهرت يُوافي الجزيرة فيقطع اللج في يوم وليلة حتى يصير إلى بلد تدمير" (اليعقوبي، 1989، الصفحات 192-193).

من خلال الوصف السابق لموقع مدينة تنس ومميزاته، تبين بأن أهمية موقعها له علاقة وطيدة بأهمية المجال الجغرافي لبلاد المغرب الاسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة؛ وأن شهرة هذه المدينة الصغيرة في العصر الوسيط ترتبط بأهمية موقعها الجغرافي المحصن طبيعياً (مطهري، 2017، صفحة 147؛ بوزينة، 2019، صفحة 393). كما توفرت بتنس أهم المعايير المحددة لإنشاء المدن في العصر الوسيط فقد كانت تحيط بها المياه والجبال، وتشرف على الميناء، إضافة إلى التحصين الطبيعي والعمراني والوجود البشري، والإشراف على عدة طرق برية بفضل موقعها، وبحرية بفضل مينائها. هذه العوامل الجغرافية والطبيعية هي التي دفعت بالعنصر الأندلسي إلى الوفادة على مدينة تنس وساهمت في ظهور المدينة المستحدثة في العصر الوسيط. أصل ومعنى تسمية المدينة:

تنس "بفتحتين والتخفيف، والسين مهملة" (الحموي، د.ت، صفحة 48، ج2) – أي: بفتح التاء والنون (مطهري، 2017، صفحة 147)، وتنطق عند العامة: ساكنة تليها نون مفتوحة وسين مهملة- "تَنَسْ": وتعتبر مدينة تنس من بين المدن الجزائرية التي حافظت على اسمها الأول منذ بداية تأسيسها، وقد اختلف حول أصل ومعنى هذا الاسم، في عدة أقوال، نجلها ونلخصها فيما يلي:

– اسم مشتق من أصل بربري، ومعناه: "المفتاح. (الديوان السياحي لتنس، 2010-2009، صفحة 5)

– اسم فينيقي "Cartennas"، صنف GSELL مدينة تنس من بين المدن القديمة ذات الاسم الفينيقي الأصل (Gsell, 1927, p. 248)، المكون من جزأين Cart و tennas: الأول "كرت": ويعني المدينة، والثاني "تينا": وهو الذي اشتق منه فيما بعد اسم المدينة الحالية "تنس". (فركوس، د.ت، صفحة 34)

– اسم مشتق من كارتينا Carthtennae، ويتكون من قسمين: "Carth" ومعناها مدينة في اللغة القرطاجية، و "Tennae" كلمة محلية بربرية مجهولة المعنى. (بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-10/9-13م) (أطروحة دكتوراه)، 2007، صفحة 20)

– اسم مشتق من الإسم الروماني "كارتيناس Cartennas" والمركب من كلمتين: "كار Car": وتعني قلعة أو مدينة: "تيناس tennas": هو اسم ابنة القائد الروماني الذي استولى على المدينة من الفينيقيين.

– اسم مشتق من "كارثنا Carthina": وهي منقسمة إلى قسمين: "Carth" أي "Cap": رأس؛ و "Tena": اسم الوادي الذي كان يعبر الناحية، وبمعنى: "رأس الوادي" (تنس، 2008).

وعليه، يتّضح وجود تشابه في بعض الآراء التي اتفقت على صحة القسم الأول "كار" "Cart" والذي يعني مدينة، واختلفت في أصل ومعنى الاسم الثاني الخالد "تنس" الذي نُرجّح أنه فينيقي الأصل لأن ظهور هذه المدينة مرتبط بالوجود الفينيقي.

اشتهرت المدينة باسم "تنس" خلال العصر الوسيط وما بعده، وبذلك حافظت تنس على اسمها القديم بعد حذف الجزء الأول منه؛ أما مُسمى "تنس القديمة" فهو نسبة للمدينة الرومانية، ومع مرور الزمن اندثرت تنس القديمة، وأصبح لها موقع استقرار واحد وهي الحديثة الإسلامية، فأصبحت تسمى المدينة بـ "تنس" فقط؛ وتغير هذا المصطلح مرة ثانية بعد الإحتلال الفرنسي للمدينة، حيث قام الفرنسيون بتأسيس مدينة جديدة في الموقع القديم (أي الروماني)، وسَمّوه مدينة تنس، ووصفوا مدينة "تنس الإسلامية" التي وجدوها مأهولة بـ "تنس القديمة أو العتيقة "le Vieux Ténès"، وهي

تسميتها إلى يومها هذا (بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-9/13-10م) (أطروحة دكتوراه)، 2007، صفحة 21، ينظر صفحة 1 أيضا).
باختصار ظلت تنس مُحْتَفَظَةً باسمها الأول منذ بداية تأسيسها رغم تعاقب عدة حضارات عليها، حيث استمرَّ هذا الاسم نتيجة استمرار وجود المدينة.

تنس فيما قبل التاريخ والتاريخ القديم:

قبل أن نعرِّج على تاريخ مدينة تنس في العصر الوسيط لا بدَّ أن نُلقِي نظرة خاطفة عن تاريخها القديم للتأكيد على أهمية هذه المدينة منذ عصر ما قبل الإسلام.
يعود تاريخ مدينة تنس إلى قبل الميلاد، حيث استقر بها الإنسان منذ ما قبل التاريخ في العصر النيوليتي في عهد الحضارتين: الإيبرو مغربية والعاترية (Lorcin, 1956, pp. 96-97; بالو، د.ت، صفحة 387).

وفي التاريخ القديم قدم الفينيقيون إلى تنس وأقاموا بها مدينةً ومرفأً تجارياً، وكانوا يتبادلون السلع مع سكان المنطقة الأمازيغ عن طريق المقايضة (بوزينة، 2019، صفحة 387).

بعد تأسيس مدينة "قرطاجة" سنة 814 ق.م، أخذ الفينيقيون يتوسعون على حساب سواحل المغرب فخضعت تنس إلى حكم إمبراطورية قرطاجة، و"أصبحت تنس محلة تجارية قرطاجية ومن موانئها المهمة". (بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-9/13-10م) (أطروحة دكتوراه)، 2007، صفحة 20)

في نهاية القرن 3 ق.م، وفي الفترة القرطاجية نفسها، ظهرت "الممالك البربرية"، وكانت تنس تنتهي إلى "نوميديا الغربية" (سحنون، 2010-2011، صفحة 24).

وبعدما انتهت الحروب البونيقية بهزيمة قرطاجة، احتلَّ الرومان شمال إفريقيا ودمروا مدينة قرطاجة سنة 146 ق.م، وخضعت تنس لحكمهم، وفي عهدهم أُعيد بناء مدينة تنس من طرف "الفرقة الأوغستية" بأمر من الإمبراطور سنة 30 ق.م، ثم ارتقت إلى مستوطنة لقدماء الجنود في عهد الإمبراطور "أوغسطس-Auguste".

بعد الرومان استولى الوندال على مدينة تنس بين سنتي 428 و430م وخربوها، ففرَّ سكانها إلى أعالي الجبال المحيطة بالمدينة، لكن حكم الوندال لم يدم طويلاً فقد طردهم

منها "البيزنطيون" الذين دخلوها بحرًا سنة 434م، وأسّسوا بها مدينة، وقد بقيت خاضعة لهم حتى الفتح الإسلامي لها. (صادوق، 2006، الصفحات 130-152؛ بوزينة، 2019، صفحة 388).

الفتح الإسلامي لمدينة تنس:

نجد الغموض يكتنف أحداث مرحلة الفتح للمدينة نتيجة قلة النصوص التاريخية لذلك نلجأ إلى الإسقاط الزمني للأحداث والتطورات التاريخية في المغرب الأوسط على المدينة محلّ الدراسة، ومنه، فقد فُتحت مدينة تنس مرتين:

- الأولى: في عهد أول خلفاء بني أمية "معاوية بن أبي سفيان" (41-60هـ/661-680م)، على يد القائد "أبي المهاجر دينار" (55-60هـ/674-679م) الذي وصل إلى تلمسان، يقول المالكي: "ففتح كل ما مرّ عليه حتى انتهى إلى العيون المعروفة بأبي المهاجر نحو تلمسان". (المالكي، 1994، صفحة 33، ج1)

وفي ولاية "عقبة بن نافع" الثانية (61-65هـ/680-684م) ارتدّ "كسيلة بن لمزم" وتحالف مع البيزنطيين الذين قاموا بالإستيلاء على مدينة تنس. (ابن عبد الحكم، د.ت، الصفحات 265-267، ج1)

- الثانية: أُعيد فتح تنس مرة ثانية في عهد الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" (65-86هـ/684-705م) على يد القائد "حسان بن نعمان الغساني" (71-86هـ/690-705م) الذي استرجع المدينة بفضل أسطوله البحري، وبذلك استقر فتح المدينة وعادت تنس إلى حمى الإسلام. (المالكي، 1994، صفحة 48، ج1؛ الديوان السياحي لتنس، 2009-2010، الصفحات 6-7)

بعد أسلمة تنس يختفي دورها السياسي، وينعدم حضورها في المصادر التاريخية ممّا يؤكد حصول القطيعة التاريخية بين مرحلة الفتح وتأسيس المدينة الحديثة. تأسيس المدينة الإسلامية "تنس الحديثة":

اتفقت المصادر على أن بناء تنس الحديثة كان من طرف أهل الأندلس (البكري، 1992، صفحة 726، ج2/ابن حوقل، صفحة 78/الحميري، صفحة 138)، يقول البكري: "تنس الحديثة أسّسها وبناها البحريّون من أهل الأندلس، منهم: الكركرني وأبو عائشة

والصقر وصُهب وغيرهم، وذلك سنة اثنتين وستين ومائتين/"875م (البكري، 1992، صفحة 726، ج2)؛ ويؤكد ذلك ابن عذارى "وفيها [أي سنة 262هـ] أسست قلعة مدينة تنس، أسسها البحريون من أهل الأندلس". (ابن عذارى، د.ت، صفحة 138، ج1)
تنس طوال تاريخها أسست وجُددت عدة مرات منذ التاريخ القديم، تنس الفينيقية ثم المستعمرة الرومانية، ثم المدينة البيزنطية، ثم تنس الحديثة التي أسست في الفترة الإسلامية- وهي موضوع الدراسة، ثم تنس في الفترة الإستعمارية؛ وبذلك فمدينة تنس هي عدة مدن في مدينة واحدة بعضها مُستحدث وبعضها قديم أُعيد بعثه.
الدول والإمارات التي تناوبت على حكم مدينة تنس الإسلامية:

لم تكن مدينة تنس بمعزل عن التطورات السياسية الحاصلة في بلاد المغرب (سعيداني، 2015، صفحة 202) خلال العصر الوسيط، حيث شهدت توالي عدة دول وإمارات عليها شأنها شأن المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة.

ليس من السهل ضبط التواريخ وتتبع تطورات الأحداث الخاصة بالمدينة وترتيبها، ذلك لأن تاريخ المدينة عبارة عن إشارات مبعثرة في شتى أنواع المصادر التي تنتمي إلى أزمنة ودول مختلفة، كما أن ذكرها جاء عرضا في بعض الأحيان؛ بالإضافة إلى زخم الأحداث وتداخلها نتيجة كثرة الأخذ والرد للمدينة بين الأطراف المتنازعة خلال الفترة المدروسة، وفيما يلي عرض تاريخها حسب الترتيب الزمني لمن تداول على حكمها في العصر الوسيط.
تنس إمارة سليمانية:

خضعت تنس لحكم أسرة الأشراف السليمانيين نسبة إلى "محمد بن سليمان"، يقول ابن خلدون: "كانت تنس لابراهيم بن محمد بن سليمان ثم لابنه محمد من بعده، ثم لابنه يحيى بن محمد، ثم ابنه علي بن يحيى، وتغلب عليه زيري بن مناد سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة" (ابن خلدون، 2000، صفحة 24)، وكانت تنس السليمانية تدين بالولاء لأُموي الأندلس (مطهري، 2017، صفحة 150).

رغم علاقة القرابة (الإنتماء لآل البيت) بين السليمانيين والأدارسة إلا أن تنس السليمانية عُرِفَت بالولاء للأُمويين في بلاد الأندلس ولم تخضع لحكم الأدارسة.
تنس في عهد الدولة العبيدية- الفاطمية (296-387هـ/909-996م):

بعد أن سيطر بنو عبيد على حكم بلاد المغرب انتفضت مدينة تنس على حكمهم عدة مرات: الأولى سنة 297هـ/909م، والثانية سنة 298هـ/910م لما اجتاحت جيوشهم كامل بلاد المغرب في إطار حملة "أبي عبد الله الشيعي" التي وصل فيها إلى تنس. يقول الداعي إدريس: "ثم قصد مدينة تنس وقد اجتمع إليها قبائل كثيرة وأزمعوا على أخذ مدينة تنس، فزحف إليها أبو عبد الله في جيوش كثيرة فقتلهم أجمعين وغنم أموالهم ونعمهم" (الداعي، 1985، صفحة 180)، وهكذا دانت تنس لبني عبيد مرة ثانية. وخرجت على سيطرتهم مرة أخرى سنة 317هـ/929م؛ ثم عادت إلى حكمهم سنة 319هـ/931م، ثم انتفضت مرة أخرى في ثورة "صاحب الحمار" (331-336هـ/942-947م)، إلا أنها استرجعت من طرفهم خلال حكم اسماعيل المنصور بالله (334-341هـ/945-952م) سنة 336هـ/947م وفي هذه المرة الأخيرة اعتبرت كولاية تابعة لهم (الداعي، 1985، صفحة 464).

تنس تحت حكم بني خزر المواليين لبني أمية في الأندلس:

في إطار الحرب بين بني خزر المواليين للأمويين بالأندلس وبني عبيد بالمغرب، تمكن ابن زعيم قبيلة مغراوة "الخير بن محمد بن خزر" والي وهران من السيطرة على تنس سنة 317هـ/929م وعادت تنس إلى ولاء بني أمية مرة أخرى سنة 319هـ/931م (ابن حيان، 1979، الصفحات 257-260 وما بعدها، ج5).

بينما يؤرخ ابن خلدون لتبعية تنس للناصر في العدو الأندلسية سنة 321هـ/933م. (ابن خلدون، 2000، صفحة 181، ج4)

تنس إمارة سليمانبة مرة ثانية:

عادت تنس إلى تبعيةها السياسية للأمويين من خلال حكمها من طرف ذرية "محمد بن سليمان"، وكان آخر حكامها "علي بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن سليمان" الذي فرّ منها إلى وهران سنة 343هـ/954م، ثم عاد ابنه "يحيى بن علي" وحاول استعادة المدينة إلا أنه فشل في ذلك. (ابن خلدون، 2000، صفحة 24، ج4)

تنس في ظل حكم صنهاجة الموالية لبني عبيد بالمغرب:

تمكن "زيري بن مناد الصنهاجي" حليف الفاطميين من إخضاع تنس سنة 343هـ/954م بعد تغلبه على حاكمها "علي بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن سليمان الإدريسي". (ابن خلدون، 2000، صفحة 24، ج4)

الصراع الأموي - العبيدي على مدينة تنس:

في عهد الأمير "منصور بن بلكين" القائم بدعوة بني عبيد بالمغرب، قام "أبو الهبار بن زيري بن مناد الصنهاجي" في سنة 377هـ/987م بالسيطرة على مدينة تنس وتلمسان وغيرها من مدن المغرب الأوسط، وخلع الولاء للعبيديين ودعا للمروانيين من بني أمية، فخطب لـ "هشام المؤيد" وحاجبه "المنصور بن أبي عامر" وبعث ببعثته لهم، وبقي تابعا لبني أمية مدة شهرين، ثم أعاد الدعوة إلى "المنصور بن بلكين" ابن أخيه، ما دفع بالمنصور بن أبي عامر إلى طلب تدخل حاكم مغراوة "زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر بن عبد الله بن خزر" الذي تمكن من السيطرة عليها وعلى المغرب الأوسط الذي غدا تابعا لبني أموية بالأندلس، وكان ذلك حوالي سنة 384هـ/994م.

بعد أن استطاع "زيري بن عطية" السيطرة على المغرب الأوسط ما لبث أن نقض تبعيته للمنصور بن أبي عامر سنة 386هـ/996م واستقل بالحكم عن الأمويين، الذين تمكنوا من هزيمته واسترجاع تبعية البلاد سنة 388هـ/998م عن طريق بني زيري، ليعود "زيري بن عطية" سنة 389هـ/998م ويسترجع حكمه وينزل بتنس إلى غاية وفاته سنة 391هـ/1000م. (ابن أبي زرع، 1972، الصفحات 102-103/مفاخر البربر، ص115-117/ ابن خلدون، ص39-44، ج7: ابن عذارى، د.ت، الصفحات 274-275)

بينما يؤرخ صاحب مفاخر البربر لاقتتال زيري بن عطية وأبو الهبار سنة 382هـ/992م (مجهول، مفاخر البربر دراسة، وتحقيق عبد القادر بوبايا، 2005، صفحة 114): ويذكر ابن عذارى أنَّ تاريخ مخالفة زيري للمنصور بن أبي عامر كان بعد سنة 375هـ/985م وانهزام زيري كان سنة 377هـ/987م. (ابن عذارى، د.ت، صفحة 274، ج2)
تنس في زمن الدولة الحمادية (398-547هـ/1007-1153م):

كانت بلاد المغرب الأوسط مسرحاً للحرب الدائرة بين بني حمّاد ومغراوة وبني يفرن من بطون زناتة منذ سنة 395هـ/1004م؛ وبعد ظهور حركة المرابطيين غزا بلكين (447-454هـ/1055-1062م) المغرب الأوسط سنة 454هـ/1062م.

في الحقيقة لم نطّلع على نص صريح يبيّن سنة تبعية المدينة للحمايين، وحسب بعض الأحداث التاريخية التي عاشتها المدينة وضواحيها فإنها كانت تابعة لهم قبل الحركة التوسع المرابطية الثانية في بلاد المغرب الأوسط، والتي تحالف فيها المرابطون مع بني ومانو وبني يلومي (من بطون زناتة) حوالي سنة 473-474هـ/1082-1080م إلا أنّ "الناصر بن علناس الحمادي" (454-481هـ/1062-1089م) وابنه "المنصور" (481-498هـ/1089-1105م) استطاعا هزيمة الجيشين واسترجاع المغرب الأوسط، حيث دخلت جيوش الحماديين تلمسان سنة 496هـ/1103م وفرّ المرابطون إلى المغرب الأقصى. (ابن خلدون، 2000، الصفحات 229-234، ج6)

كما خضعت تنس في عهد الحماديين إلى نفوذ قبيلة "مغراوة"، فقد اتخذوها في عهد "حمامة بن المعز بن عطية" قاعدة لإعادة تجميع قوتهم والإنطلاق نحو مدينة فاس لاسترجاعها سنة 429هـ/1037-1038م أو سنة 431هـ/1039-1040م. (بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-10-9/13-3م) (أطروحة دكتوراه)، 2007، الصفحات 30-31)

تنس في عصر دولة المرابطيين(465-540هـ/1072-1145م):

افتتحت مدينة تنس على يد المرابطيين أيام "يوسف بن تاشفين" (400-500هـ/1009-1106م) الذي قضى على حكم قبيلة مغراوة في المغرب الأوسط انطلاقاً من مدينة تلمسان، ووصل إلى مدينة تنس سنة 473هـ/1080م (ابن خلدون، 2000، صفحة 62، ج7/ صفحة 247/ج6)

كما تعرضت مدينة تنس في عهد المرابطيين إلى غارة "أسطول جنوة" في سنة 539هـ/1144م؛ وهجوم آخر من طرف "البحرية النورماندية" سنة 571هـ/1175م. (بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-10-9/13-3م) (أطروحة دكتوراه)، 2007، الصفحات 31-32)

تنس في عهد الدولة الموحدية (515-668هـ/1121-1269م):

خضعت تنس للموحدين أيام حكم "عبد المومن بن علي" في الفترة الممتدة من 546-574هـ/1152-1179م، حيث كانت تابعة إداريا لولاية تلمسان؛ ولما سقطت مراكش استقل "منديل بن عبد الرحمن وبنوه" – المواليون لبني حفص - بمليانة وتنس وشرشال وغيرها من تلك النواحي (ابن خلدون، 2000، صفحة 116، ج7).

أشار عبد الواحد المراكشي إلى حملة "عبد المومن بن علي" نحو الشرق للسيطرة على مدينة بجاية وقلعة بني حماد في سنة 540هـ/1145م، لكنه لم يذكر دخول الموحديين تنس. (المراكشي، 1994، صفحة 147)

تنس في ظل الصراع بين بني توجين وبني منديل:

بعد ضعف بني منديل تمكن أمير بني توجين "محمد بن عبد القوي" الموالي للدولة الحفصية من إخضاع مدينة تنس في سنة 644هـ/1246م، لكن ما لبث بنو منديل أن استرجعوا مدينة تنس التي ظلت موالية للدولة الحفصية إلى غاية سيطرة "يغمراسن بن زيان" عليها. (ابن خلدون، 2000، صفحة 87، ج7؛ بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-13/9-10م) (أطروحة دكتوراه)، 2007، صفحة 33)

تنس في عهد الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م):

كانت تنس في عهد أول حكام بني زيان في أخذ ورد بينهم وبين بني منديل، بحيث دخل "يغمراسن بن زيان" مدينة تنس بعد فرار "ثابت بن منديل" منها سنة 672هـ/1273م، ثم استرجعها "ثابت بن منديل"، ليتخلى عنها مرة أخرى لصالح "يغمراسن" سنة 681هـ/1282م؛ وفي عهد ثاني حكام الدولة الزيانية "أبو سعيد عثمان بن يغمراسن" (681-703هـ/1283-1303م) خضعت تنس لسلطة الزيانيين بعد حصار دام أربعين يوما. (التنسي، 2011، الصفحات 129/ ابن خلدون، ص118، ينظر أيضا صفحة 88-89، ج7)

تنس تحت حكم بني مرين:

بعد حصار تلمسان الطويل – ثماني سنوات- من طرف بني مرين، تمكن السلطان المريني "يوسف بن يعقوب الناصر لدين الله" (685-706هـ/1286-1306م) في حملته بعد سنة 702هـ/1302م من الإستيلاء على مدينة تنس، وغيرها من مدن المغرب الأوسط

(الناصري، 1955، صفحة 80، ج3/ ابن خلدون، 2000، صفحة 146،

ج7/ سعيداني، 2015، ص201)

الصراع بين بني منديل وبني عبد الواد على مدينة تنس:

دخل بنو منديل أمراء مازونة في القرن 7هـ/13م إلى مدينة تنس فرارًا من بني عبد الواد، إلا أن الأمير "أبو ثابت الزياني" تمكن من القضاء عليهم وضم مدينة تنس إلى ممتلكات الدولة الزيانية مرة أخرى. (ابن خلدون، 2000، صفحة 87، ج7؛ التنسي، 2011، صفحة 253؛ مطهري، 2017، صفحة 150)

إمارة تنس المستقلة:

في آخر الفترة الوسيطة استقلت تنس كإمارة عن الدولة الزيانية سنة 911-912هـ/1506م، وامتدت حدودها إلى عدة مدن مجاورة هي: برشك وشرشال ومليانة والمدينة.

كما كانت مدينة تنس من بين المدن التي قاومت الوجود العثماني لفترة زمنية طويلة عبر مرحلتين: كانت الأولى بقيادة حكام ينتمون للعائلة الزيانية، والثانية بقيادة "حميد العبد" قائد قبيلة "سويد" العربية، لتسقط المدينة نهائيًا سنة 959هـ/1552م.

بعد عرض موجز لتاريخ هذه المدينة في الفترة الوسيطة تبين أن تنس من أهم المدن الساحلية في المغرب الأوسط، التي كانت كل الدول القائمة والمتعاقبة في مجال البحر المتوسط آنذاك تطمح إلى ضمها لممتلكاتها، نظرا لأهميتها الإستراتيجية والإقتصادية. (بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-9/10م) (أطروحة دكتوراه)، 2007، صفحة 1)

بالرغم من صغر المدينة إلا أنها صاحبة دور كبير في العصر الوسيط، فقد كانت شاهدة على كل الأحداث، بل كانت ميدان لها، فهي هدف كل حركة توسعية تظهر في المتوسط آنذاك، حيث دانت لحكم الأمويين في الأندلس، كما خضعت لحكم القبائل البربرية في بعض مراحلها التاريخية، كما كانت ملجأ لكثير من الحركات المناوئة للدول القائمة في بلاد المغرب الأوسط خاصة الدولة الزيانية.

على العموم أدت مدينة تنس أدوارا متنوعة سياسية واقتصادية، لكن دورها السياسي بقي ثانويا بالمقارنة مع دورها الإقتصادي، وقد كانت مدينة هامشية بالنسبة للدول المركزية في أغلب فترات التاريخ، حيث لم تصل إلى مرحلة الحاضرة المركزية، بينما وصلت إلى مرحلة الولاية الاقتصادية في عهد بني عبيد؛ ليس هذا فقط بل إن تاريخها السياسي والعسكري أبعد دور العنصر المحلي البربري الذي يبدو أنه بقي متفرجاً على الأحداث في كثير من المحطات.

إن ما شهدته تنس وبعض المدن الصغيرة في بلاد المغرب الأوسط من حروب مستمرة طيلة مرحلة العصر الوسيط أدى إلى تغييب مكانتها الحضارية.

خاتمة:

هذا المقال هو مختصر لتاريخ مدينة تنس التي عاصرت مختلف الحضارات الإنسانية منذ القدم، واكتسبت مكانة خاصة في تاريخ المغرب الأوسط لذلك بقيت شاهدة على مختلف التطورات السياسية التي عرفتها المنطقة طيلة العصر الوسيط.

من خلال دراسة التطور التاريخي للمدينة يمكننا استخلاص العوامل التي جعلت مدينة تنس تمتلك خاصية الإستمرارية، وجعلها تصمد أمام كل الصدمات والصراعات والحروب التي دارت رحاها فوق أراضيها، وهذه العوامل مرتبة حسب أهميتها، وهي:

- كونها في الأصل مدينة قديمة أزلية.

- الموقع الإستراتيجي الذي تتميز به هذه المدينة.

- وجودها لم يرتبط بإمارة أو قبيلة أو بدعوة مذهبية.

- لم تكن مدينة محلية أو عاصمة لدولة لتدمر فيما بعد بفعل الظروف السياسية.

- كونها مدينة مستحدثة طوال تاريخها ففي كل مرحلة من تاريخها تبنى الجديدة بجانب المدينة القديمة.

قائمة المراجع:

ابن عذارى. (د.ت). البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب حقه وضبط
نصه وعلق عليه بشار عواد معروف ومحمود بشار معروف (المجلد 1). تونس،
تونس: دار الغرب الإسلامي.

أبو القاسم ابن حوقل. (1996). صورة الأرض. بيروت، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.
أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الحكم. (د.ت). فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم
عامر (المجلد ج1). القاهرة: شركة الأمل للطباعة والنشر.

أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي. (1994). رياض النفوس في طبقات علماء القبريوان
وأفريقية وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم (المجلد 1).
(حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، المترجمون) بيروت، لبنان:
دار الغرب الإسلامي.

اسماعيل بن نعمان. (2006-2007). مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-9/13-9-10م)
(أطروحة دكتوراه). معهد الآثار، الجزائر: جامعة الجزائر.

اسماعيل بن نعمان. (2007). مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (3-9/13-9-10م)
(أطروحة دكتوراه). معهد الآثار، الجزائر: جامعة الجزائر.

اسماعيل بن نعمان. (2020). الصراع العسكري بين حكام إمارة تنس والعثمانيين بالغرب
الجزائري (922-259هـ/1516-1552م). مجلة عصور جديدة، 10(4)، 248-270.
الإدريسي. (2002). نزهة المشتاق في إختراق الآفاق (المجلد 1). القاهرة، مصر: مكتبة
الثقافة الدينية.

الإصطخري. (1927). مسالك الممالك. ليدن - بيروت: طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل
ودار صادر.

البكري. (1992). المسالك والممالك (المجلد 2). قرطاج، تونس: الدار العربية للكتاب - بيت
الحكمة.

التنسي. (2011). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان
شرف بني زيان، حقه وعلق عليه محمود آغا بوعيداد. الجزائر: موفم للنشر.
الحاج صادوق. (2006). التراث وفقه العمران شوارع مدينة تنس وطرقاتها نموذجاً. المجلة
المغربية للمخطوطات.

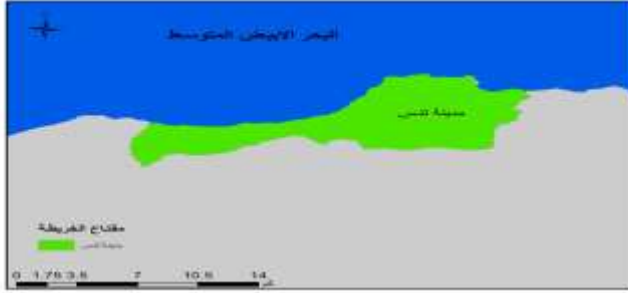
الحموي. (د.ت). معجم البلدان (المجلد 2). بيروت، لبنان: دار صادر.

- الحميري. (1984). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس (الإصدار 2). بيروت: مطابع هيدليغ.
- الديوان السياحي لتنس. (2009-2010). تنس تاريخ وحضارة. مجلة سياحية تاريخية، 2. تنس، الجزائر.
- الفاسي ابن أبي زرع. (1972). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. الرباط: دار المنصور.
- القرطبي ابن حيان. (1979). المقتبس، اعتنى بنشره ب شالميتا و ف. كورينطي وم. صبح وغيرهم (المجلد 5). مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة - كلية الآداب بالرباط.
- الناصري. (1955). الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتنسيق جعفر الناصري، محمد الناصري (المجلد 3). الدار البيضاء، المغرب الأقصى: دار الكتب.
- اليعقوبي. (1989). البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي (الإصدار 1، المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- تاريخ مدينة تنس. (8 سبتمبر، 2008). منتدى تاريخ وأعلام ولاية الشلف وضواحيها. تاريخ الاسترداد 17 أكتوبر، 2022، من <https://chlef.7olm.org/t142-topic>
- سعيد بوزينة. (2019). الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وظاهرة بناء المدن: مدينة تنس أنموذجاً. مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 3(1)، 378-400.
- شرايف سحنون. (2010-2011). دراسة منوغرافية لحوض الشلف في العهد الروماني 40-429م (مذكرة ماجستير). كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر: جامعة الجزائر 2.
- صالح فركوس. (د.ت). تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال- المراحل الكبرى (الإصدار 1). الجزائر: القافلة.
- عبد الرحمن ابن خلدون. (2000). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار (المجلد 4). بيروت، لبنان: دار الفكر.
- عبد الواحد المراكشي. (1994). المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب. ليبيا: دار الفرجاني.

- عماد الدين الداعي. (1985). تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب
عيون الأخبار تحقيق محمد اليعلاوي (الإصدار 1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
فاطمة الزهراء بوعمامة. (بلا تاريخ). نشاط مدينة تنس التجاري في العصور الوسطى.
حوليات التاريخ والجغرافيا، 5.
فطيمة مطهري. (جانفي، 2017). مدينة تنس ثغر الأندلسيين ومحطة تجارتهم وعبورها إلى
بلاد المغرب الإسلامي. مجلة القرطاس (3)، 147-158.
قدور بوتشيشة علي طاهري. (2022). مدينة تنس من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة
المسلمين من القرن الرابع إلى السادس الهجريين (10-12 م). دراسات تاريخية،
10(1).
لخضر سعيداني. (2015). تراجم علماء منطقة تنس وآثارهم الفكرية. أعمال ملتقى
حواضر الشلف العلمية - حاضرة مجاجة أنموذجا (صفحة 202). الجزائر:
منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
ليونال بالو. (د.ت). الجزائر في ما قبل التاريخ ترجمة وتقديم محمد الصغير غانم. عين
مليلة، الجزائر: دار الهدى.
مارمول كريخال. (بلا تاريخ). إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون (المجلد
2). الرباط: دار المعرفة.
مجهول. (2005). مفاخر البربر دراسة، وتحقيق عبد القادر بوباية (الإصدار 1). دار أبي
رقراق.
مجهول. (د.ت). الإستبصار. العراق: دار الشؤون الثقافية.
مجهول. (د.ت). الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب،
نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد. العراق: دار الشؤون الثقافية.
محمد ابن بطوطة، و محمد ابن بطوطة. (2011). رحلة ابن بطوطة (الإصدار 4). بيروت،
لبنان: دار صادر.
Gsell, S. (1927). Histoire Ancienne de l'afrique du nord (Vol. 7). Boulevard Saint-
Germain79: Le Royaumes Indigènes Organisation Sociale - Politique et
Economique Paris Librairie Hachette .
Lorcin, J. (1956). la station préhistorique du Cap Ténès. 53(1-2), p. 9697.

الملاحق:

صورة رقم (01): خريطة مدينة تنس



المصدر: من إعداد الباحثة بواسطة برنامج صناعة الخرائط Arcmap

صورة رقم (02): صورة ثلاثية الأبعاد لمدينة تنس



المصدر: مأخوذة من Google earth ومعدلة وفق برنامج صناعة الخرائط Arcmap